

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(233) الموجهة إليهما. وعلى فرض صحة الرواية الأولى لابد أن يقال: إن الرواية إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موضع عنايته سبحانه ورعايته، فلم يكن مسوّلاً عن أفعاله وحركاته وسكناته فقط، بل كان مسوّلاً حتى عن نظراته وانقباض ملامح وجهه، وانبساطها، فكانت المسوّلية الملقاة على عاتقه من أشدّ المسوّليات، وأثقلها صدق الله العلي العظيم حيث يقول: (إِنَّ زَيْدًا سَدُّ لِقَابِي عَلَيْهِ كَقَوْلِهِمْ لَوْلَا نَفْسُكَ إِذَا دَعَاكَ لَمَّا دَعَاكَ) (1) كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجي صناديد قومه وروساءهم لينجيهم من الوثنية ويهديهم إلى عبادة التوحيد، وكان لإسلامهم يوم ذاك تأثير عميق في إيمان غيرهم، إذ الناس على دين روسائهم وأوليائهم، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الظروف يناجي روساء قومه إذ جاءه ابن أم مكتوم غافلاً عملاً عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأمر المهم، فلم يلتفت إليه النبي، وجرى على ما كان عليه من المذاكرة مع أكابر قومه. وما سلكه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن أمراً مذموماً عند العقلاء، ولا خروجاً على طاعة الله، ولكن الإسلام دعاه وأرشده إلى خلق مثالي أعلى ممّا سلكه، وهو أنّ التصدي لهداية قوم يتصورون أنفسهم أغنياء عن الهداية، يجب أن لا يكون سبباً للتولّي عمّن يسعى ويخشى، فهداية الرجل الساعي في طريق الحق، الخائف من عذاب الله، أولى من التصدي لقوم يتظاهرون بالاستغناء عن الهداية وعملاً أنزل إليك من الوحي، وما عليك بشيء إذا لم يركبوا أنفسهم، لأنّ القرآن تذكرة فمن شاء ذكره (فَذَكِّرْهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ آيَاتِنَا وَنَحْنُ عَلِيمٌ بِمَا يَصِفُ) (2)